Archive of SID

مجلة اللغة العربية وآدابها علمية محكمة
السنة ١٤، العدد ٤، شتاء ١٤٤٠هـ
صفحة ٦١٩-٦٤٠

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

أسلوبية التعبير في الأشعار المنسوبة للإمام السجاد عليه السلام

علي صيداني*

١. أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشهيد مدني بأذربيجان، تبريز

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٨/٢/٢٤؛ تاريخ القبول: ٢٠١٨/٧/١٩)

الملخّص

يهدف هذا البحث إلى كشف الخصائص التعبيرية التي اعتمدها الإمام السجاد عليه السلام ضمن أشعاره. لأجله تناولنا الأشعار كلها في ديوانه علما بأن الإمام عليه السلام استخدم الأساليب المتنوعة في مقدمات القصائد وأثنائها. واعتمدت الدراسة مستعينةً بالمنهج الوصفي- التحليلي، على أمّهات الكتب لتحليل الأبيات التي تضمنت هذه الأساليب سعياً لبيان أثرها في تركيب النصّ الشعري الديني. وملخّص ما وصل البحث إليه هو أن الإمام السجاد عليه السلام استخدم هذه الأساليب النحوية واللغوية للدلالة على أنّ أهل المعاصي هم الخارجون عن جادّة الحقّ والصواب ويقصد منها أيضا شرح وجهة نظره وتبيان المعطيات التي تقوم عليها. امتاز شعر الإمام عليه السلام بتنوع توظيف هذه الأساليب ويخاطب خصمه مرّة بالنداء وينبّه مرة أخرى بالقسم ويوجّه كلامه لمستمعه بأسلوب التوكيد ويبقى سامعه مرة أخرى وحيداً ليفكر على ما حدث بـ(صار) ويتمنّى بتغيير ما كان بـ(ليت) إلى ما سيكون. ويمكن القول بأن الأساليب اللغوية في شعره تندرج تحت هذه العناوين: النداء، التكرار، الاستفهام، القسم، التشبيه، صيغ المضارع للمتكلم وحده، عاملية النفي، التمني، الأداء الوظيفي لـ«إنّ... لَـ»، الحوار، سلبية النهي، إيجابية الأمر، توظيف الشرط، كم الخبريّة، الاستثناء، مقتضيات أفعل التفضيل، دلالة «صار» النحوية، اسم الإشارة، المفعول المطلق.

الكلمات الرئيسة

الأداء الوظيفي، الأساليب التعبيرية، الإمام السجاد عليه السلام، توظيف الشرط، عاملية النفي.

* الكاتب المسؤول
Email: a.sayadani@azaruniv.ac.ir

www.SID.ir

Archive of SID

مقدمة

يعتبر الأدب من الفنون التي تمسّكت بها الأُمم منذُ أقدم العصور، وعلى مرّ التاريخ إلى يومنا هذا، بأنواعه وأقسامه وطرقه المختلفة في نفسه أو فيما بين الأمم، والذي يدلّ على قدم هذا الفنّ ما روي عن الإمام رضا عليه السلام أنّه قال: سئل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن أول من قال الشعر؟ فقال عليه السلام : آدم. ثم انتشر تدريجيا بين الأمم والبلدان بشتّى صوره من وعظ ونصيحة وسياسة ومدح وذمّ وغيرها. واستمرّ هذا الوضع على هذه الحال حتّى مجيء الإسلام، فقد هذّب الإسلام جميع التقاليد والعادات والطبائع والصفات، وجميع حالات المجتمع ومن ضمن ما توجّه إليه الإسلام بجديّة هو الأدب وأثره في المجتمع.

وبدأ الإسلام باستقطاب الشعر والشعراء وأهل الأدب وتسخير هذه الطاقات لخدمة الدعوة الإلهية الحقّة، انطلاقا من قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم : «إنّ من الشعر لحكمة وإنّ من البيان لسحراً». واستمرّ الأدباء بنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى رأسهم حسان بن ثابت الأنصاري وهو ينمّ عن أهمية الشعر في باب الاحتجاج وإفهام المستمع وأنّ أخذه بمجامع القلوب والأفئدة آكدُ من الكلام المنثور، فليتّخذ دستورا في إصلاح المجتمع وبثّ الدعاية الروحية. وعلى هذا المنحى خطّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام طريقهم في توظيف الأدب والشعر كما وظّفه جدّهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خدمة الإسلام بكل طرقه وفنونه. ونلاحظ أن الأشعار التي وردت عن شعراء أهل البيت عليهم السلام لا تتجاوز الحدود الاجتماعية والقيم الإسلامية (الإمام السجاد، ٢٠٠٢: ٣-٥).

من هذا المنطلق عزمت على تقديم دراسة ترمي إلى الوقوف عند هذه الظاهرة التعبيرية الأسلوبية، فوجدت في شعر الإمام السجاد عليه السلام أنموذجا معبرا عنها. إن تحري أشكالها في شعر الإمام السجاد عليه السلام يكشف عن مدى اهتمامه به حتى أصبحت ظاهرة شائعة في أشعاره.

وتطرح أسئلة عدّة في دراسة هذه الأساليب:

أولا: هل يمكن في هذه الأساليب ذاتها بكل تشكيلاتها ودلالاتها، بوصفها جزء أصيلا من الجزئيات الشعرية التي تسهم في تكوين نصّ الشعري؟

ثانيا: كيف وظّف الإمام عليه السلام الأساليب التعبيرية كعاملية النفي، الأداء الوظيفي و... لإلقاء المعنى المراد؟

www.SID.ir

Archive of SID

الدراسات السابقة

اهتم الباحثون بدراسة آثار الإمام السجاد عليه السلام من جوانب متعدد وقد انصب جلّ اهتمامهم على الصحيفة السجادية؛ لأنه مبني على أمور عدة يحتاجها الإنسان في حياته المعنوية والمادية وهو يعلّم الإنسان كيف يعيش وهناك أيضا بحوث قليلة حول تحقيق وتوثيق أشعار الإمام كـ«تحقيق وتوثيق شعر الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام (ت ٩٥ هـ)» في حولية المنتدي في العدد ١٢، (٢٠١٢م)، ص٩٧-١٤٥؛ اعتمد عادل لعيبي في تحقيق ديوان الإمام السجاد عليه السلام على نسخ عدّة- مخطوطة ومطبوعة. ومقالة عنوانها «نسبة النص إلى المؤلف؛ دراسة تطبيقية في الديوان المنسوب الى الإمام السجاد عليه السلام» في مجلة بحوث في اللغة العربية وآدابها العدد الـ١١، (٢٠١٤م)، ص٢٥-٣٨؛ تناول هذا المقال صحّة هذا الديوان على أساس الأسلوبية الإحصائية. وبحث عنوانه «الاغتراب في شعر الإمام السجاد عليه السلام» في مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، المجلد ٨، (٢٠٠٥م)، ص٢٣-٣٦؛ بحث عامر صلال راهي الحسناوي في هذا المقال، ظاهرة الاغتراب في حياة وشعر الإمام. ومقالة باللغة الفارسية عنوانه «مضامين مشترك انساني در صحيفه سجاديه واشعار منسوب به امام سجاد عليه السلام» في مجلة ادب عربي العدد ١، (١٣٩٢ش)، ص١٩-٣٦؛ نوقشت فيها المضامين الإنسانية المشتركة. مقالة «دراسة رثاء الحسين عليه السلام في أشعار الإمام السجاد عليه السلام» في مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، العدد ١، السنة ١٦؛ قامت المؤلفة فيها بدراسة الرثاء الحسيني خلال أشعار الإمام السجاد عليه السلام . ولكن ما يعنينا هو دراسة الأساليب التعبيرية في أشعار الإمام عليه السلام ودورها على صعيد المستوى التركيبي وكيفية توظيفها في سياقات شعره.

تعريف الأسلوب

لغةً

جاء في لسان العرب: ويقال للسطر من النخيل أُسلُوبٌ وكلُّ طريقٍ فهو أُسلُوبٌ قال والأُسلُوبُ الطريق والوجهُ والمَذهَبُ يقال أنتم في أُسلُوبٍ سُوءٍ ويجمع أساليب والأُسلُوبُ الطريقُ تَأخذُ فيه والأُسلُوبُ بالضمّ الفَنُّ يقال أَخَذَ فلانٌ أساليبَ من القول أي أفانينَ منه وإنَّ أنفَهُ لفي أسلُوبٍ إذا كان مُتَكبِّراً (ابن منظور، دون تا، ج١: ٤٧٣).

www.SID.ir

Archive of SID

اصطلاحاً

يرى بعضهم بأنّ الأسلوب: قوة ضاغطة تتسلط على حساسية القارئ بواسطة إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام وحمل القارئ على الانتباه إليها، بحيث إن غفل عنها تشوّه النص، وإذا حلّلها وجد لها دلالات تتميز بها، خاصة بما يسمح بتقرير أنّ الكلام يعبّر والأسلوب يبرز. نستنتج من خلال ما تقدم ارتباط الأسلوب بالقارئ كونه المعني بقراءة النص الذي قُدم، حيث يشير الكاتب إلى بعض العناصر الأساسية التي تسهم في بلورة معنى النص، ويترك المتلقي ليجد تلك العناصر، فإن لم يعثر عليها يفقد النص جماله، أمّا إن وجدها وحلّلها فسيكسبه دلالات يتفرد بها. ويمكن القول إنّ: كل أسلوب صورة خاصّة بصاحبه يبين طريقة تفكيره، وكيفية نظره إلى الأشياء وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته، ومعنى ذلك أن الأسلوب مرآة عاكسة لصاحبه؛ أي يوضح تفاصيل شخصيته ورؤيته للأشياء الكامنة في هذا الوجود، وما الأسلوب إلّا فلسفة الذات لهذا الوجود (داسي، ٢٠١٥م: ١٠).

الأسلوبية

يشير الكثيرون إلى أن مصطلح الأسلوبية لايمكن أن يحدد بتعريف واضح ومقنن، وذلك لارتباطها بميادين عديدة، ولكن جلّ من عرضوا لمفهوم الأسلوبية أكدوا أنها تعني بالتحليل اللغوي لبنى النصوص. وقد حدد ميشال ريفاتير[1] مفهوم الأسلوبية بأنها: علم يعني بدراسة الآثار الأدبية دراسة موضوعية، وهي بذلك تعني بالبحث عن الأسس القارة في إرساء علم الأسلوب وهي تنطلق من اعتبار الأثر الأدبي بنية ألسنية تتحاور مع السياق المضموني تحاورا خاصا. فالأسلوبية تعني بالتحليل اللغوي للنصوص، والكشف عن فنياته، فهي دراسة الخصائص اللغوية التي يتحول بها الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية الجمالية ما يعني بأنها ترمي إلى تمكين القارئ من إدراك انتظام خصائص الأسلوب الفني إدراكا نقديا مع الوعي بما تحققه تلك الخصائص من غايات وظائفية (منصوري، ٢٠١١م: ١١).

دراسة أساليب التعبير في شعر الإمام السجاد عليه السلام

الشعر الوارد عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام فلا يخلو عن التذكير بالله عزّ وجلّ أو الحثّ على طاعته وتقواه، أو التذكير بالآخرة ونعيمها، وزوال الدنيا ولذائذها، وما شابه ذلك (الإمام

1. Michael Riffaterre

www.SID.ir

Archive of SID

السجاد، ٢٠٠٢: ٥). ويعدّ قصور الدراسات الأكاديمية والبحثية لأعلام الفكر الإسلامي، لاسيما أئمة أهل البيت عليهم السلام من أهم عوامل الضعف التي تكتنف المكتبة الأكاديمية الإسلامية، ومع أنّ الأسباب التي تقف وراء ذلك القصور واضحة لا تخفى على ذي لب، لعل أهمها العامل العقائدي الذي تمثل بالقدسية التي حظي بها الأئمة عليهم السلام التي جعلت الكثير من الباحثين يترددون في البحث بهذا المجال خوفا من الوقوع بسهو أو خطأ من غير قصد.

إنّ أهم ما يمكن أن تقدمه دراسة هؤلاء الأعلام، تسليط الضوء على معالم الفكر الإسلامي الأصيل الذي، يمثل أنموذجاً رائعاً في معالجة أحوال المجتمعات الإنسانية، من خلال واقعيته واحترامه للإنسان الذي عدّه أفضل المخلوقات وأسماها، فضلا عن كونهم المنبع الأساس للمعلومات التي أوردها كبار المفكرين والعلماء المتقدمين (السيوطي، ٢٠١٢: ٣٠٣) ويقف الإمام السجاد عليه السلام في طليعة هؤلاء الأعلام. معتمدا على هذا، نسعى إلى الكشف عن جوانب التعبير اللغوي في أشعاره وكيفية تعامل ثلاثة محاور رئيسية أي: المُرسِل، المُرسَل، المُرسَل إليه:

التكرار

يعدّ التكرار من الظواهر اللّغوية التي يتسم بها النّص الشعري، فهو يجسد سمة أسلوبية هامّة، ويكاد يكون من أهم ما يمتاز به الأسلوب في شعر أي شاعر، لما يضطلع به من دور واضح في معنى الشعر ومبناه، إضافة إلى دوره في إخصاب شعرية النّص ورفده بالبث الإيحائي والجمالي، فهو يظهر على مستويات عدّة في بنية النّص الشعري من خلال تكرار حرف من الحروف وليكن حرف جر، أو حرف نداء، أو غير ذلك، أو من خلال تكرار كلمة بعينها، أو بتكرار جملة كاملة، أو حتى فقرة أو أكثر من هذا أو أقل، ولكل مبدع طريقته في تسخير هذا التكرار لخدمة غرض محدد أو أغراض متعددة.

إن الوقوف عند صور التكرار وأنماطه في قصيدة ما أمر يسير، لكن الصعوبة تكمن في الكشف عن بواعثه لدى الشاعر، وقيمته الفنية التي تتجسد في التعرف على الخصائص الأسلوبية التي يتفرد بها، وعلى معجمه الشعري المتميز. يضاف إلى ذلك إسهامه في الكشف عن بعض الدلالات النفسية والموضوعية والفنية للنص وصاحبه (زروقي، ٢٠١٦: ١٣٣-١٣٤).

يخاطب الإمام في هذا البيت جدَّه محمد صلى الله عليه وآله مستعينا بأسلوب التكرار ومستنكرا حاله وما هو عليه من ظلم بني أمية ويدعوه عليهم. ويلعب التكرار في كلمة (جدّ) دوراً حركيا

www.SID.ir

Archive of SID

مهماً في نقل الرسالة من الشاعر للمخاطب. ويدعو أيضا لليقظة والتنبية وأيضا تنوير الأفكار بما هو فيه:

أيا جَدَّ يا جَدَّاهُ بَعدَك أظهَرَتْ أُميةُ فِينا مَكرها والشنائعُ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٥٣)

يكرر الإمام عليه السلام الشكود الغاضبة في الأبيات الأخرد واضعاً يده على مكمن العلّة كاشفاً عن سرّ المأساة بأسلوب (إلَى كم... إلَى كم) وهو جور الزمان وأبنائه على أهل البيت عليهم السلام وهذا التكرار يمثّل غضبة ثورية متأججة مليئة بالثقة واليقين ولكن الإمام السجاد عليه السلام لا يقف عند هذا الحدّ في تصوير المأساة ولكن يتحول الرفض السلمي إلى صراع في مواجهة الأعداء:

فَلَيتَ شِعرِي إلَى كم ذَا تُجاذِبُنا صُرُوفُهُ وإلَى كم ذَا نُجاذِبُهُ

(الإمام السجاد: ٢٠٠٢م: ٧٠)

النداء

العقل هو الذي ينشئ الأفكار ويقيم الأحكام والأقيسة. ومن صفات الأفكار أن تكون واضحة، دقيقة، جديدة، قوية، عميقة، سامية؛ ومن صفات الأقيسة أن تكون صحيحة. فيتّضح أن للعقل أهمية كبرى في الأدب؛ فهو الذي يضع أساس الأدب أي الفكر. وهو الذي يضبط الشعور، ويسيطر على المخيلة فيردّ جموحها إلى حدود الجمال المعقول؛ لأن الفوضى قتل للجمال والآثار الأدبية الخالية من الفكر، أو المشحونة ضلالا لا تعدّ أدبا حقيقياً، وإن كان كاتبها من أسياد الصناعة اللفظية. فإنّ الحقيقة من أهم عناصر الجمال، ولاجمال بلاحقيقة (الفاخوري، ١٣٨٠: ٣٥). والنداء أداة يخاطَب بها عقل الإنسان لتنبهه على ما فعل وما يكون فيه والنداء وسيلة من وسائل الخطاب البارزة في ديوان الإمام عليه السلام، يلجأ إليها كثيرا في خطابه مع كل الناس ولعطف المخاطب إلى الله حينا آخر، فقد وجد في النداء ضالته الأولى التي أحسن توظيفها للوصول إلى المعاني المطلوبة، ولا غرو في ذلك إذا علمنا أن النداء من الأساليب المتنوعة، وتأتي تنويعاته لتعدد أدواته التي يعتمد عليها، ولما تتضمنه هذه الأدواته من معان أيضاً، إن منشئ النصّ أو المتحدث يعبر بصور كثيرة من التعبيرات التي تنطوي هذا الأسلوب، وقد عرفه سيبوية بقوله «واعلم أن النداء كلّ اسم مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره والمفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب» أما ابن السراج فقال «وأصل النداء تنبيه المدعو ليقبل عليك» ولهذا التنبيه من أهم خصائص النداء (جامل، ٢٠١١م: ١٧٣):

www.SID.ir

Archive of SID

ويـــا جـــدّنا أرادوا أبي متـــذلّلاً فَتـــيلاً وفي الأحشـــاء حَـــرٌّ ظِمـــاء

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ١٧)

ومما تجدر الإشارة إليه أن (يا) النداء هو أكثر الأدوات استعمالا في أشعاره:

أفِـــي السَّـــبَخاتِ يـــا مَبغُـــونُ تَبنِـــي وَمـــا يبقَـــى السِّـــباخُ عَلَـــى الأَســـاسِ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٤٥)

يـــا أُمَّـــةَ السُّـــوءِ لاسُـــقياً لِـــرَبعِكم يـــا أُمَّـــةً لَـــم تُـــراعِ جَـــدَّنا فِينـــا

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٢١)

ينادي الإمام عليه السلام هنا قَتَلَةَ الحسين بأرض كربلاء وأراد به إظهار سوء فعلهم وسلوكهم؛ لهذا استخدم من كلمة (السوء) في سياق النداء في الشطر الأول من البيت ومن كلمة نكرة في الشطر الثاني ولا يخفى ما في هذا الأسلوب من لمحة فنية تجلب السامع والقارئ لفهم المعنى الذي يقف خلف هذه الألفاظ.

كما استخدم حرف النداء مع اسم الفاعل:

يـــا ظـــاعنين بقلـــبي أينمـــا ظعنـــوا وبـــالفؤاد مـــع الأحشـــاء داعينـــا

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٢٢)

يستخدم الإمام عليه السلام أسلوب النداء ضمن هذه الصور:

يا + مضاف ومضاف إليه/ يا + اسم مفعول/ يا + اسم فاعل/ يا + نكرة مقصودة

ونلاحظ أن معظم هذا النداء يخرج إلى معان إلاهية كأن هذه الأساليب الندائية وقفات إنذارية يثير في نفس الإنسان، عاطفة دينية.

القسم

إن أهمّ غرض يساق من أجله القسم هو التوكيد وهذا ما صرح به سيبويه إذ يقول: «اعلم أن القسم توكيد كلامك» ويقول في موضع آخر «والحلف توكيد» فهو توكيد ما يقسم عليه من نفي أو إثبات وإنما أكدت خبرك لتنزيل الشك من المخاطب وإنما كان جواب القسم نفيا أو إثبات لأنه خبر والخبر ينقسم قسمين نفيا وإثباتا.

أما غرض القسم الاستعطافي فهو تحريك النفس وإثارة شعورها (حسين، ٢٠٠٩م: ٢٢٢). استخدم الإمام السجاد عليه السلام القسم في مكانه المناسب، بحسب طبيعة الموضوع والشخص المخاطب والحكم الذي يصدره، ففي حثّ على التجنّب من غرّة الدنيا وتفكير على ما فيها.

www.SID.ir

Archive of SID

ولم يكتف الإمام عليه السلام لتأكيد الخبر، بذكر القسم فحسب بل نجده يحيط كلامه بمؤكدات أخرى كأداة الاستفهام (أين) وتكرار الضمير (ها) في الأبيات التالية:

وآليـــتُ لا تُبقِـــي اللّيـــالي بَشَاشَـــةً ولا جِـــدَةَ إلّـــا سَـــريعاً خُلُوقُهـــا

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٢٤)

كما صرّح بهذا المعنى في ديوانه:

وأنَّ امـــرءاً يســـعَى لِـــدُنْياهُ جَاهِـــداً ويَـذهَلُ عَـن أُخـراهُ لاشَـك خَاسِـرُ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٣٨)

التشبيه

يحرص الإنسان على تقريب ما يريد إلى غيره بشتى الوسائل منها المجردة المباشرة، ومنها الرامزة الإشارية، ومنها الصامتة. وفي كل ذلك وسيلة من وسائل الاتصال. ومن صور هذه الوسائل المباشرة المنطوقة أو المكتوبة، التشبيه (حمدي أبوعلي، ١٩٩٢م: ٣٧). والتشبيه تصوير شيء بشيء آخر لوجود علاقة بينهما تُسمَّى علاقة المُشابهة (أمين عبدالغني، دون تا: ٤٢). والدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى (التفتازاني، ١٤٢٤هـ: ٥١٦) والغاية منه خاصّةٌ بالمتكلم (أبوحاقة، ١٩٨٨م: ١٢٤). فلو أخذنا مثلاً هذا البيت من أشعار الإمام عليه السلام، لفهمنا منه أن الإمام عليه السلام يعقد مماثلة بين أهل البيت عليهم السلام ومشيدوا الدين على قصد الطعن على الكفار وعدم شعورهم بمكانة الأئمة عليهم السلام في الدين والدنيا وانصراف الأعداء إلى التغافل. ولقد قصد الإمام عليه السلام من هذا القول طرح مسألة الإمامة وموقف الناس منه:

تُسَـــيِّرُونا عَلَـــى الأقتـــابِ عَاريـــةً كَأَنَّنـــا لَـــم نُشَـــيِّد فِـــيكم دِينـــا

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٢١)

كما استخدم الإمام عليه السلام التشبيه ليتحدث عن بداهة حقّهم كعرفان لون السواد من البياض الذي يتجلى في ثنائية السواد والبياض. وخاطب بهذا الأسلوب ضمير أعداء أهل البيت عليهم السلام وقرّب بالتشبيه من الأذهان بطلان بني أمية:

عَـــرَفتُم حَقَّنَـــا فَجَحَـــدتُمونا كمَـا عُـرِفَ السَّـوادُ مِـنَ البَيَـاضِ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٤٩)

قد وظّف الإمام عليه السلام التشبيه المركب في أبياته الحكمية ليؤدي وظيفة تقريرية بأن الإنسان ليس بخالد في هذه الدُّنيا والتشبيه هنا قائمٌ على المفارقة التصويرية بين (حَرِيصٌ مُكاثِرٌ + كأنَّك مِنها بِالسَّلامَةِ وَاثِقٌ):

www.SID.ir

Archive of SID

وأنــتَ عَلَــى الــدُّنيا حَــرِيصٌ مُكــاثِرٌ كأنَّــك مِنــها بِالسَّــلامَةِ وَاثِــقُ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٦٠)

صيغ المضارع للمتكلم وحده

ينادي الإمام عليه السلام جدّه ويسأله كيف يمكن أن يكون حفيده قتيلاً بيد الأعداء وهو من ذُرِّيَّته ويسأل به هل يمكن العودة إلى البداية والكمال الأول الذي كانوا عليه في زمن نبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وبهذا الأسلوب يستخدم من صيغ المضارع ليوجه خطابه للذين تجاهلوا لما فعلوا ويسلكون الطريق الذي سلكه أعداء الله فخرجت صيغ المضارع في هذه الأبيات لغرض بلاغي وهو الاختصاص فخصّ الإمام عليه السلام أهل البيت عليهم السلام بالحقيقة والواقعية في الدين والدنيا. وتظافر هذا المعنى مع صيغ الفعل المضارع والنداء وضمائر الخطاب:

أُنَادِيــك يــا جَــدَّاهُ يــا خَــيرَ مُرسَــلِ حَبِيبُــك مَقتُــولٌ ونَســلُك ضَــائعٌ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٥٣)

كما يقول:

أُنَاجِيــك مَحزُونــاً عَلِــلاً مُــؤجَّلاً أسِــيراً ومــا لِــي نَاصِــرٌ ومُــدافِعٌ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٥٣)

عاملية النفي

النفي هو الإخبار عن ترك الفعل ويُعَدُّ باباً من أبواب المعنى، يهدف به المتكلم إلى إخراج التركيب اللغوي من حكمه المثبت إلى ضدّه وتحويل المعنى الذهني الإيجابي إلى خلافه، فهو أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول، وفيه نقض، وإنكار، يحمل معنى عقلياً مشتركاً بين جميع العقول، يفيد عدم ثبوت نسبة المسند للمسند إليه في الجملة ـ الفعلية والإسمية ـ ولا يكون إلا بأداة تُشعر بالنفي. والأدوات في الاستعمال العربي من القرائن اللفظية المهمة، تشترك جميعها في الدلالة على معانٍ وظيفية خاصّة مثل (النفي، والاستفهام، والتمني، والترجي، والشرط)، إلى جانب المعنى الوظيفي العام (عبدالباقي محمد، ٢٠١٢م: ١٨٩).

تبدو عاملية النفي في هذا النوع من الأشعار، أنها كوقفة يقف فيها الإمام عليه السلام ليحذر الأعداء لعدولهم عن الطريق الذي سلكه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويشكو من الأوضاع التي يعاني منها الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونحن نجد في هذا البيت قلق الإمام عليه السلام المتمثل في أداة النفي والفعل المضارع (فَلَم يبقَ) الذي يدلّ على أزمة حال الناس الذين يعيشون في زمن بني أمية:

www.SID.ir

Archive of SID

فَلَـم يَبـقَ لِلنِّسـوانِ يـا جَـدُّ قَـائمٌ ولَـم يبـقَ لِلأَيتـامِ يـا جَـدُّ كَافِـلُ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٦٦)

ايضـا اسـتخدم الإمـام، النفـي بـ(لا) وهـي «أقـدم حـروف النفـي في العربيـة، ويفتـرض براجشتراسـر[1] وجودهـا في اللغـة السـامية الأم، ودلالتـها النفـي الصـريح الحـاد، والقـاطع» (براجشتراسر، ١٩٩٤م: ١٦٨)، ولا تخفى الموازنة هنا بين (لا نُحِبُّكم ولا تُحِبُّونا) ولهذه الصورة أثر بالغ في إظهار ما يعتلج في نفس الإمام عليه السلام من حبّ للمؤمنين وبغض لأعدائهم. وهنا نجد الإمام عليه السلام يقف مخاطباً بني أمية بأداة النفي التي تدلّ على شقاوتهم فقد نفى الإمام عليه السلام جنس المحبّة عن الأشقياء:

واللهُ يعلَـمُ أنَّـا لا نُحِـبُّكم ولا نَلُـومُكم أنْ لا تُحِبُّونَـا

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٦٩)

التمني

هو طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله، لاستحالة الحصول عليه، أو بعد مناله. للتمني أداة واحدة أصلية هي «ليت» وثلاث أدوات فرعية هي «هل، لو، لعلّ» (أبوالعدوس، ٢٠٠٧م: ٨١)، يُعَدُّ التمني من أحد الأساليب الإنشائية استعمالا وأهمية في شعر الإمام عليه السلام. إن الإمام عليه السلام يتمنى من الله تعالى أن يبعد المصائب عن أهل البيت عليهم السلام ويوظف هنا أسلوب التمني مع ليت ليخبر عن حاله، وكيف تمضي الأيام في جور الظَلَمة من الكفار ليكشف عن سوء فعلهم قبالة الأئمة عليهم السلام وعن النقاب الذي كان على وجههم بأسلوب متميز يوظف فيه أسلوب التمني ويستمد من التقابل بين ضمير الغائب (هي= تُجَاذِبُنَا) والمتكلم (نحن= نُجَاذِبُهُ):

فَلَيـتَ شِـعرِي إلَـى كـم ذَا تُجَاذِبُنَـا صُـرُوفُهُ وإلَـى كـم ذَا نُجَاذِبُـهُ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٧٠)

كما يوظف هذا الأسلوب في الأبيات الأخرى من شعره:

لَيـتَ شِـعرِي أعَاقِـلٌ فِي الـدَّياجِي بَـاتَ مِـنْ فَجْعَـةِ الزَّمـانِ يُنَـاجِي

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٣٠)

1. Bergstrasser

www.SID.ir

Archive of SID

الأداء الوظيفي لـ«إنّ... لَـ»

إنّ المكسورة المشددة حرف توكيد (الأنصاري، ٢٠٠٠م، ج١: ٢٢٧)؛ تؤكد مضمون الجملة وتحققه، وتكون الجملة معها على استقلال بفائدتها. فإن القائل (إنَّ زيداً قائمٌ) ناب مناب تكرير الجملة مرتين، إلا أنّ قولك (إنَّ زيداً قائمٌ) أوجز من قولك: زيد قائم زيد قائم مع حصول الغرض من التأكيد، فإن أدخلت اللام وقلت: (إنَّ زيداً لَقائمٌ) ازداد معنى التأكيد وكأنه بمنزلة تكرار اللفظ ثلاث مرات (ابن يعيش، ٢٠٠١م، ج٤: ٥٢٦) وهنا نجد المعنى المتضمن في دلالة «إنّ» للتوكيد على أوّلية الأئمة في العلم وهذا البيت مرتبط بالأبيات التي بعده يقدّم فيها صورة واضحة للإمام علي عليه السلام وتقدُّمه في العلم ويؤكد هذا المضمون بثلاثة مؤكدات (الجملة الإسمية + إنّ + لَـ). إن كثرة هذه المؤكدات في البيت والصورة التي عمد إليها الإمام عليه السلام تكشف لنا عن مكانة أهل البيت عليهم السلام في العلم:

إنِّـي لَـأكتُمُ مِـن علمِـي جَـواهِرَه كـي لا يـرَى العِلـمَ ذُو جَهـلٍ فَيَفتَتِنَـا

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ١٩)

الحوار

الحوار أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يتصلان إلى نتيجة، وقد لايقنع أحدهما الآخر ولكن السامع يأخذ العبرة ويكون لنفسه موقفا وهو تبادل الآراء بين طرفين وصولاً إلى الحقيقة (النحلاوي، ١٩٩٥م: ٢٠٦) وقيل هو مناقشة بين طرفين ـ أو أطراف ـ بقصد تصحيح الكلام وإظهار حجة وإثبات حق، ودفع شبهة، وردّ الفاسد من القول والرأي (محمود ضمرة، ٢٠٠٥م: ٢٠). ويمثل الحوار أسلوبا مثاليا في الخطاب والبيان ووسيلة حكيمة لإصلاح الكثير من التصورات والأوهام والمفاسد التي كانت تسير أحوال الناس ونظمهم المختلفة (فضل الله، ١٤٢١هـ: ٤٣) هناك حالات تتطلب من الشاعر أن يتحدث فيها مع الآخر، وهذا الحديث قد يكون مجرد تفكير كقول الإمام عليه السلام حول أبناء الدنيا؛ اعتمد الإمام عليه السلام أسلوب الحوار انسجاماً مع إطاره الشعري الذي استخدم حبكات قصصية لأفكاره وهذا الحوار قادر على إبراز تركيب هذا المغزى بأن أبناء الدنيا هم الجاهلون وأبناء الجنّة هم الصالحون. سأل الإمام عليه السلام في عتابٍ: لماذا قدمّتَ الجاهل على ذي فضل وأجاب الدنيا بأن الجاهلين هم أبنائي لذالك تقدموا على الفاضلين الذين أبناء الآخرة:

www.SID.ir

Archive of SID

عَتَبــتُ عَلَــى الــدُّنيا بِتَقــدِيمِ جَاهِــلٍ وتَـأخِيرِ ذِي فَضـلٍ فَأَبـدَتْ لِـي الْعُـذرَا
بَنُــو الجَهَــلِ أبنَــائِي لِــذَاك تَقَــدَّمُوا بَنُــو الفَضــلِ أبنَــاءٌ لِضَــرَّتِي الأُخــرَى

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٢٠)

سلبية النهي

هو طلب الكف عن الفعل (محمد هارون، ٢٠٠١م: ١٨٤) على وجه الاستعلاء وأن النهي المطلق المجرد عن القرائن يفيد الوجوب والإلزام (السبكي، ٢٠٠٣م: ٤٦٩). له حرف واحد وهو (لا) الجازمة في نحو قولك: لا تفعل وهو كالأمر في الاستعلاء، وقد يستعمل في غير طلب الكفّ أو الترك كالتهديد كقولك لعبد لا يمتثل أمرك: لا تمتثل أمري (قزويني، ٢٠٠٩م: ٤٥). يعدّ أسلوب النهي أحد أساليب الإنشاء الطلبي في الجملة العربية سواء كان لهدف محدد ومباشر أو كان لتصور إيحائي جمالي (جامل، ٢٠٠١م: ١٧٩) يخاطب بهذا الأسلوب، الإنسان وينهاه عن الدنيا ويُظهر له قيمة الدنيا بأسلوب له مسحة جمالية وفنية لا تخفى على السامع (= الدنيا أقلّ من الخلال) فلا تغترّ بها:

فَــــلا تَغتَــــرَّ بِالــــدُّنيا وذَرْهــــا فَمــا تَســوَي لَــك الــدُّنيا خِــلالا

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٦٦)

لقد حافظ الإمام عليه السلام أيضا على ذكر قتيل بشطّ النهر وخاطب كوفيين ونهاهم عن الفرح بما فعلوا (فَلا تَفرَحُوا) ويشير إلى سوء فعلهم وهذا الخطاب يكشف عن حالة الإمام عليه السلام النفسية وشوقه الكبير للإمام حسين عليه السلام وما يعانيه من ألم الفراق:

فَــلا تَفرَحُــوا يــا أهــلَ كُوفَــانَ بِالَّــذي أُصِــيبَ حُسَــينٌ كَــانَ ذلــك أعظَمَــا

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٢٠)

إيجابية الأمر

يأتي الأمر لطلب الفعل بمعنى الإلزام، بحيث يكون طالب الفعل عادة أعلى منزلة ممن يطلب منه تنفيذه (السكاكي، ١٩٨٧م: ٣١٨) فله معانٍ أخرى تستفاد من السياق. وللأمر دور هامٌّ في أشعار الإمام عليه السلام ومن خلاله تظهر لنا أفكاره حيال الناس بما يرى من اشتداد أزمتهم وتفاقم محنتهم. ونشهد تركيزه على الأمر وتكراره في الأبيات السابقة (تَأَهَّبْ، بَادِرْ، تَزَحزَحْ، دَعْ، خُذْ، تَوَخَّ، كُنْ، تَلَقَّ، قَارِبْ، سَدِّدْ، اتَّقِ) وهذا الأسلوب يعكس اهتمامه بأمورهم وفيه عتابٌ خفيٌّ لهم وعلى مواقفهم:

www.SID.ir

Archive of SID

تَفَقَّـــدْ نَقـــصَ نَفسِـــك كُـــلَّ يـــومٍ فَقَـــدْ أودَى بِهـــا طَلَـــبُ المَعـــاشِ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٤٦)

توظيف الشرط

هو تعلُّق شيء بشيء بحيث إذا وُجِدَ الأوّل وُجِدَ الثاني، وقيل: الشرط ما يتوقف عليه وجود الشيء، يكون خارجا عن ماهيته ولا يكون مؤثراً في وجوده، وقيل: الشرط ما يتوقف ثبوت الحكم عليه (الجرجاني، دون تا: ١٠٨) أسلوب الشرط به أداة تربط بين جملتين: الأولى شرطٌ للثانية (الحمادي والآخرون، ١٩٩٤م: ١٤٦) قد جاء أسلوب الشرط في طيات شعر الإمام عليه السلام ووظّفه لتأدية المعنى المقصود وجسّد في هذا البيت حبّه لله تعالى وقربه إليه ودعا السامع لكلامه أن يكون خِلّاً وفيا لله وقام الشرط في هذا السياق بوظيفة الوصل فثمّة جامع دلالي بين (صَافَيتَ وتُؤَاخِي) وجوّ البيت يشع بالحبّ ثم إنّ تعبير بـ(خَالَلتَ) للدلالة على تزكية النفس وحصوله في الحياة إنْ أوحدنا حبنا في الله ويمكن القول بأن هذا البيت من سياقات توظيف الشرط الذي استحال مثلا:

وإن صَـــــافَيتَ أو خَالَلـــــتَ خِلّـــــاً فَفِـــي الـــرَّحمنِ فَاجعَـــلْ مَـــنْ تُـــؤَاخِي

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٣٢)

ومما يلاحظ في هذا البيت، استخدام (إن) الذي دخل على جملة فعلية مصدرة بفعل الماضي، ليشير إلي احتمال وقوع الأمر (= نيل الطاغي للمعالي) وهنا جاء فعل الشرط فعلاً ماضياً وجواب الشرط كذلك ووظفّ الإمام عليه السلام ليكشف عن مدى ما وصل الطغاة إليه من الدنيا:

وإنْ نَـــالَ النَّفِـــيسَ مِـــنَ المَعـــالِي فَلَـــيسَ لِنَيلِهـــا طِيـــبُ المَسَـــاغِ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٥٤)

ومن سياقات توظيف (مَنْ) الشرطية التي أصبحت حكمة دينية، قوله هذا في تقبيح الإثم وأعمال السوء والحثّ على الاعتصام بالخير والأعمال الصالحة:

فَمَـــن حَسُـــنَتْ أفعَالُـــهُ فَهُـــوَ فَـــائِزٌ ومَـــنْ قَبُحَـــتْ أفعَالُـــهُ فَهُـــوَ زَاهِـــقُ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٥٨)

كم الخبريّة

كم على وجهين: خبرية بمعنى كثير، واستفهامية بمعنى: أيّ عدد. ويشتركان في خمسة أمور:الاسمية، والابهام، والافتقار إلد التمييز، والبناء ولزوم التصدير (الأنصاري، ٢٠٠٠م، ج٣:

www.SID.ir

Archive of SID

٤٦) وهكذا استخدم الأمام عليه السلام كم الخبرية للدلالة على معنى كثرة وقوع الأمر (= الموت) فلديه يقين وعلم بالفناء، لذلك يدعو إلى التزود بزاد التقوى والعمل الصالح في الدنيا، فإذا جاء الموت، فإن للإنسان متاعاً يحمله معه للآخرة:

فَكَـــمْ مِـــنْ رَائِـــحٍ فِينـــا وغَـــادٍ نَعَتْـــهُ نُعَاتُـــهُ قَبْـــلَ الصَّـــبَاحِ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٣١)

وتفاعل الإمام عليه السلام مع قضية الإنسان ويتضح ذلك عبر خطابه وتوجيه المتلقي صوب واقع الحياة ويتجسد الواقع عنده في الممارسة على مكافحة المصائب لأنها لا تنتهي وتهجم كل يوم على الإنسان بكثرة وكثرة المصائب وطول امتدادها وتراكمها عبر السنين، قد دفعته إلى نزالها وزرع الأمل في قلوب الناس ودفعهم نحو السعي والحركة لمواجهة الصعاب:

وكَـمْ عَاقِـلٍ أفنَـتْ فَلَـمْ تَبـك شَـجوَهُ ولا بُـدَّ أنْ يَفنَـى سَـريعاً لُحُوقُهـا

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٢٤)

حاول الإمام عليه السلام ليقنع المتلقي باستخدام (كم) الخبرية بالتذكير بما يحدث في هذه الدنيا من مصائب ولكن على الإنسان أن يصبر ويتَّقي ليصل إلى ما يريده ويبسط في كلامه هذا المعنى: وَمَن يتَوَكلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ:

وشَـخْصٍ كَـانَ فِي الـدُّنيا حَقِـيراً تَبَـوَّأَ مَـنزِلَ النُّجُـبِ الكِـرامِ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٦٧)

كما صرح بها في أشعاره:

وفِـي دُونَ مـا عَاينـتُ مِـنْ فَجَعَاتِهـا إلى رَفضِـها دَاعٍ وبالزُّهـدِ آمِـرُ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٣٩)

الاستثناء

قال ابن يعيش في كتابه «اعلم أنّ الاستثناء استفعالٌ، من ثَنَاهُ عن الأمر يثنيه إذا صرفه عنه، فالاستثناء صرف اللفظ عن عمومه بإخراج المستثنى من أن يتناوله الأوّل، وحقيقته تخصيص صفةٍ عامّةٍ، فكلّ استثناء تخصيصٌ، وليس كلُّ تخصيص استثناء، فإذا قلت: قام القوم إلا زيداً، تبين بقولك: «إلا زيداً» أنه لم يكن داخلا تحت الصدر، إنما ذكرتَ الكلَّ، وأنت تريد بعض مدلوله مجازاً، وهذا معنى قول النحويين: «الاستثناء إخراج بعض من كلٍّ» فـ«إلا» تُخرج الثاني مما دخل في الأوّل (ابن يعيش، ٢٠٠١م، ج٢: ٤٦) والاستثناء من النفي يفيد

www.SID.ir

Archive of SID

الإثبات. من الواضح أن (إلا) هي الأداة الوحيدة وروداً في شعر الإمام عليه السلام ففي كل هذه المواضع أفادت (إلا) الاستثناء فإننا نجد في هذا البيت كيف يوظّف الإمام عليه السلام هذه الآلية ليقنع المتلقي بما أراده وهو حبّ أهل البيت عليهم السلام؛ طريق النجاة الذي من سلكه نجا ومن اجتنب عنه ضلّ فيتوسل بأسلوب الاستثناء ليعبّر عن مشاعره وأحاسيسه هادفاً من خلاله إثارة حبّ نحوهم لدى المخاطب:

ومَـــا فَـــازَ مَـــنْ فَـــازَ إلا بِنَـــا ومَـــا خَـــابَ مَـــنْ حُبُّنَـــا زَادُهُ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٧٢)

وهنا جمع بين (لا وإلا) ليفضى إلى خصيصة أسلوبية تعبيرية تشكل في النص بنياته الأسلوبية وهو حديث عن التوحيد وهو بذلك يريد أن يقول أنه من حقنا أن نذكر هذه القيم ونتغنّى بها ومعناه تخصيص الأمر لله تعالى وقصره عليه ونفي ألوهية عن سواه والذي دلّ على هذا التخصيص هو نفي بـ(لا) والاستثناء بكلمة إلّا:

إلـــهٌ لا إلـــهَ لَنَـــا سِـــواهُ رَؤُوفٌ بِالبَرِيَّـــةِ ذُو امتِنَـــانِ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٦٩)

مقتضيات أفعل التفضيل

إنّ أفراد المجتمع الواحد لايتسمون بالصفات نفسها معاً في وقت واحد؛ بل هناك تفاوت من شخص لآخر في امتلاكه لصفةٍ معينةٍ يُعرَفُ بها دون غيره، ويعود ذلك إلى عامل إمكانية الشخص وسعة إدراكه، وحيثية تصرفه، والدافع التي تدعوه إلى التوغل في صفةٍ ما دون سواها، سواء كانت هذه الصفة محمودةً أم مذمومةً؛ ومن هنا نشأت ضرورة تدعو إلى إيجاد صيغة تدلّ على المفاضلة والترجيح بين الأشخاص في صفةٍ من الصفات، فانتقت العربية وهي لغة البيان صيغة أفعل للاضطلاع بهذه المهمّة الدلالية التي لايمكن الجنوح إلى أيّ صيغة غيرها لتحقيق الغرض نفسه، فأصبحت هذه الصيغة ملازمةً لمعنى التفضيل الذي يحدث بداعي أنّ شيئين اشتركا في صفة وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصفة (عبدالزهرة الجنابي، ٢٠١٦م: ١١٥). أُدرجت هذه الأداة في شعر الإمام عليه السلام كما في هذا البيت قدّم الإمام عليه السلام (أقطَعُ) للدلالة على ذُعر وخوف يوم القيامة وهذا المفهوم يكوّن جزءاً رئيسياً من رؤاه الدينية فقد خصّص قصيدة كاملة للحديث عن القيامة ويدعو الإنسان أن لا ينسى يوم الحساب وأن يحذر من هول ذلك اليوم من خلال طاعته لله تعالى والتمسك بأئمته عليهم السلام:

www.SID.ir

Archive of SID

وهَــولُ الحَشــرِ أقطَــعُ كُــلِّ أمــرِ إذا دُعِــيَ ابــنُ آدَمَ لِلحِســابِ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٢٥)

فالموت أخطر ظاهرة وقف الإنسان أمامها حائرين مذهولين محاولين كشف حقيقتها إلا أنّ الموت من المنظور الإسلامي هو بداية حياة أخرى ويستفهم الإمام بـ(أتَدري) في الأبيات السابقة عن هذا اليوم ويخاطب بفعل الأمر (أيقِن) ليصل إلى أن القيامة أفضع يوم لكل إنسان وعلى وجه خاصٍّ على الذين ما ساروا في طريق العبادة. ووُظِّفَ أفعل التفضيل (أفضَعُ) لينقل هذه الصورة المخيفة لتنبه الناس على ما فعلوا وسيفعلون:

ويــومُ الحَشــرِ أفضَــعُ كُــلِّ يــومٍ إذا وَقَــفَ الخَلائِــقُ فِــي المُقــامِ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٦٧)

دلالة «صار» النحوية

ذهب جمهور النحاة على أن هناك في العربية أفعالا تسمى ناقصة وأشهرها: كان، صار، ظل، أصبح، صار... وهذه الأفعال تدلّ على الزمن فقط دون الدلالة على الحدث. ولاتكتفي بمرفوعها وإنما تفتقر إلى المنصوب، أي لابد لها من اسم مرفوع وخبر منصوب (ناشد، ٢٠١٥م: ٣٩٢) "صار" تعمل هذا العمل بلا شرط (الأنصاري، ٢٠٠١م: ١٠٠). وتفيد الانتقال والتحول من حال إلى حال، مثل: صار زيدٌ عالماً. أي الحصول بعد أن لم تحصل (ناشد، ٢٠١٥م: ٣٩٥). استخدم الإمام عليه السلام من دلالة هذه الكلمة في شعره وألقى هذا الكلام وجمع فيه شمائل الكفار وما فعلوا مستخدما أسلوب (صار) ومعنى الصيرورة لتدلّ على ما حدث من سيادة الأشقياء والظَلَمة ومهّد من خلاله لبيان قصده وهدفه وهذا البُعد النحوي تمثّل باستعمال (صار + فعل المضارع) ويتّضح لنا من التكوين المعجمي المكون مِن (سَادَ + العلُوج)؛ أسباب زوال العدالة في المجتمع:

سَــادَ العلُــوجُ فَمــا تَرضَــى بِــذا العــرَبُ وصَــارَ يَقــدِمُ رَأسَ الأُمَّــةُ الــذَّنَبُ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢م: ٢٦)

استعمل تركيب (صَارُوا + قُبُوراً) ليدلّ على الموت لأنه دائما يستعمل في سياق الموت ليبين نهاية الذين يجمعون المال وهو الموت أي كل شيءٍ نهايته الموت والكل خاضع له وصاغرون حتى الأموال مصيرها الزوال فلفظة (دَارساتٍ) معناها الهلاك وتشير إلى ما ستؤول إليه الدنيا:

www.SID.ir

Archive of SID

وصَــارُوا قُبُــوراً دَارســاتٍ وأصــبَحَتْ مَنَــازِلُهُم تُســفِي عَلَيهــا الخَوافِــقُ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢: ٥٩)

اسم الإشارة

اسم يعين مدلولَه تعييناً مقروناً بإشارة حسية إليه. كأن ترى عصفوراً فتقول وأنت تشير إليه: ذا رشيق؛ فكلمة: ذا تتضمن أمرين معاً، هما: المعنى المراد منها (أي: المدلول المشار إليه، وهو: جسم العصفور)، والإشارة إلي ذلك الجسم في الوقت نفسه. والأمران مقترنان؛ يقعان في وقت واحد؛ لاينفصل أحدهما من الآخر، لأنهما متلازمان دائماً. والغالب أن تكون المشار إليه (وهو: المدلول) شيئاً محسوساً كالمثال السابق. وكأن تشير بأحد أصابعك إلي كتاب، أو قلم؛ أو سيارة وتقول: ذا كتاب ـ ذا قلم ـ ذي سيارة. وقد يكون شيئاً معنوياً، كأن تتحدث عن رأي، أو: مسألة في نفسك، وتقول: ذي مسألة تتطلب التفكير، ذا رأي أبادر بتحقيقه (حسن، دون تا، ج١: ٣٢١) ومن أنماط استعمالها في شعر الإمام عليه السلام ما خصّ به طائفة معينة من المتخاطبين عندما خاطبهم بأن الأموال ودائعٌ ولا تبقى لأحد من الناس (تِلك + القُصُورَ) ونجد في كلامه جزءاً من التوظيف الخطابي في إيصال غرضه وهو حثّهم إلى تفهُّم حقيقة الحياة ونهيهم عن حبّ مَلذّات الدُّنيا:

ولا سَــكَنُوا تِلــكَ القُصُــورَ الَّتِــي بَنَــوا ولا أُخِــذَتْ مِنــهُم بِعَهــدٍ مَواثِــقُ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢: ٥٩)

من الملاحظ أن الإمام عليه السلام استخدم (ذاك) للاشارة إلى أمر هامٍّ في معرفة الله واعتمد في توضيح هذه الفكرة، مقدرته الذهنية والدينية في الاستنجاد بالمعنى وأراد استنهاض الأمة وتنبهها لما فيهم:

مَــن عَــرَفَ الــرَّبَّ فَلَــم تُغنِــهِ مَعرِفَــةُ الــرَّبِّ؛ فَــذاك الشَّــقِيُّ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢: ٧٦)

المفعول المطلق

هو مصدر يذكر بعد فعل من لفظه لتأكيده أو بيان نوعه وعدده (ابن عقيل، ١٩٨٠م، ج٢: ١٦٩) وهو يعمل عمل فعله المأخوذ منه، إذا كان الفعل غير متعدٍ، كذلك المصدر المأخوذ منه يكون غير متعد؛ لأن الفعل اشتُقَّ من المصدر (المبرد، ١٩٩٤م، ج٤: ١٥٧) إن العلاقة بين المصدر والمفعول المطلق هي: أن المصدر أعم من المفعول المطلق لأن المصدر يكون مفعولاً مطلقاً،

www.SID.ir

Archive of SID

وفاعلاً، ومفعولاً به، والمفعول المطلق لا يكون إلا مصدراً، وسُمِّيَ مُطلقاً لأنّ حمل المفعول عليه لا يحتاج إلى صلة، لأنّهُ مفعول الفاعل حقيقةً بخلاف بقية المفعولات، وهو غير مقيد بحرف جرٍّ أو نحوه (الأنصاري، دون تا، ج٢: ٢٠٥) يبرز المفعول المطلق ظاهرة أسلوبة بارزة في شعر الإمام السجاد عليه السلام ونلاحظ أن المفعول المطلق يتردد بمستوى واحد في شعره؛ جاء الفعل ثمّ جاء المصدر بعده. وتوجّه إلى مخاطبه في الأبيات السابقة بـ(أنتَ، ك، تَ) وكلها تحمل معنى الإنذار الذي يصل إلى أن الذنوب كنار يحرق جسم وروح الإنسان ويدعم الإمام عليه السلام كلامه بالمفعول المطلق (كوَتْ + كيَّاً) الذي يفهم معنى التأكيد ويقصد من خلاله إلى توضيح المفارقة بين المؤمنين والمذنبين:

ذُنُوبي قَد كوَتْ جَنبِي كيَّاً ألا إنَّ الذُنُوبَ هِي المَكاوِي

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢: ٧٣)

الاستفهام

الاستفهام من أنواع الإنشاء الطلبيّ وهو يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب. يقول سعدالدين التفتازاني ثم إنّ هذه الكلمات الاستفهامية كثيراً ما تستعمل في غير الاستفهام مما يناسب المقام بمعونة القرائن. وهذه بعض المعاني المجازية: ١. التشويق. ٢. التقرير. ٣. التمني. ٤. الاستبطاء. ٥. الأمر. ٦. النهي والإنكار. ٧. الإهانة والتحقير. ٨. ... (ملا إبراهيمي، ١٤٣٧هـ: ١٢٨-١٢٩) الاستفهام من أساليب التعبير التي وظّفها الإمام عليه السلام في مخاطبة الآخر وتتضح أهميته من خلال المساحة الواسعة التي يحتلُّها في مضامين شعره المختلفة واستخدمها للتعبير عن أفكاره وكانت أداة (أ) أكثر انتشاراً في شعره:

أتَرجُو نَجَاةً مِنْ حَياةٍ سَقِيمَةٍ وسَهْمُ المَنايا لِلخَلِيقَةِ رَاشِقُ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢: ٥٧)

وظّف الاستفهام لغرض الشكوى وإظهار ألمه من حبّ الإنسان للدنيا وتجنّبه عن الدين والعمل بما يدعوه والاستفهام قد ساهم في إثراء هذا المعنى ويرمي إلى تقرير هذه الحقائق وإثباتها ولكن بشكل غير مباشر لِينبّه الناس ويطلب منهم أن يغيروا سلوكهم ويريد تعميق الشعور لديهم بغرّارة الدنيا:

أتَرضَى بأنْ تَفنَى الحَياةُ وتَنقَضِي ودِينُك مَنقُوصٌ ومَالُك وَافِرٌ؟

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢: ٤٣)

www.SID.ir

Archive of SID

والملاحظ أنّ (أ) الاستفهامية جاءت بصورة مكررة توحي بمدى اهتمامه لغفلة بني آدم وعتابهم لاعتزازهم بالمال:

أيَغتَـــرُّ الفتَـــى بِالمَـــالِ زَهـــواً وفِيـــهِ مـــا يَفُـــوتُ مِـــنْ اعتِـــزَازِ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢: ٤٤)

كما يقول في شعره مؤكداً هذا:

ألا إنَّ السِّـــباقَ سِـــباقُ زُهـــدٍ ومَـــا فِـــي غَـــيرِ ذلـــك مِـــن سِـــباقِ

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢: ٥٦)

وفي قوله:

مـــا يَصـــنَعُ العَبـــدُ بِغَـــيرِ التُّقَـــى؟ والعِـــزُّ كُـــلُّ العِـــزِّ للمُتَّقِـــي

(الإمام السجاد، ٢٠٠٢: ٧٦)

النتائج

بعد هذا العرض أهمّ ما جاء فيه بما يأتي:

١. وظّف الإمام عليه السلام هذه الأساليب لغايات دينية يمدح بها مناقب أهل البيت عليهم السلام ويشيد بالقيم العليا.
٢. لعبت الأساليب التعبيرية دوراً جوهرياً للتعبير عن عجز الإنسان أمام الموت، وغدر الدنيا.
٣. الرؤى الدينية تشكل حيزاً كبيراً من مضامينه الشعرية التي استخدم فيه الطرق النحوية للتعبير عنها.
٤. استعمال التكوين المعجمي المكوّن في الأساليب النحوية للدلالة على ما حدث.
٥. على صعيد المستوى التركيبي لوحظ استخدام أسلوب الشرط في شعر الإمام عليه السلام و(إن ومَن) الشرطية من الأداوات التي وظّفها في بناء دلالته الشعرية في سياق المدح والذمّ.
٦. يتوسل الإمام بالأساليب اللغوية المتنوعة لتعبير عن ما يعتلج في نفسه من شوق، حزن وألم.
٧. هذه الأدوات تؤدي إلى معنى لا تنحصر وإنما تؤتى بها على حسب الموضع الذي ترد فيه.
٨. وجمع بين (لا وإلا) ليفضي إلى خصيصة أسلوبية تعبيرية تشكل في النص بنياته الأسلوبية وهو حديث عن التوحيد.
٩. ويلعب التكرار في شعره، دوراً حركيا مهماً في نقل الرسالة من الشاعر للمخاطب.

www.SID.ir

Archive of SID

المصادر والمراجع

١. ابن عقيل، بهاء الدين (١٩٨٠م). *شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك*. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: دار التراث.

٢. ابن منظور، محمد بن مكرم (دون تا). *لسان العرب*. بيروت: دار الصادر.

٣. ابن يعيش، موفّق الدين (٢٠٠١م). *شرح المفصل للزمخشري*. تقديم إميل بديع يعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية.

٤. أبوحاقة، أحمد (١٩٨٨م). *البلاغة والتحليل الأدبي*. ط ٣، بيروت: دار العلم للملايين.

٥. أبوالعدوس، يوسف (٢٠٠٧م). *مدخل إلى البلاغة العربية*. عمان: دار المسيرة.

٦. الإمام السجاد عليه السلام (٢٠٠٢م). *ديوان*. تحقق ماجد بن أحمد العطية، بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٧. أمين عبدالغني، أيمن (دون تا). *الكافي في البلاغة*. القاهرة: دار التوفيقية للتراث.

٨. الأنصاري، ابن هشام (٢٠٠٠م). *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*. تحقيق عبداللطيف محمد الخطيب، ج ١، الكويت: التراث العربي.

٩. الأنصاري، ابن هشام (٢٠٠١م). *شرح شذور الذهب*. بيروت: دار احياء التراث العربي.

١٠. الأنصاري، ابن هشام (دون تا). *أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك*. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: منشورات المكتبة العلمية.

١١. براجشتراسر (١٩٩٤م). *التطور اللنحوي للغة العربية*. تصحيح رمضان عبدالتواب، ط ٢، القاهرة: مكتبة الخانجي.

١٢. التفتازاني، سعد الدين مسعود (١٤٢٤هـ). *المُطَوَّل شرح تلخيص مفتاح العلوم*. تحقيق عبدالحميد هنداوي، قم: مؤسسة دار الإمام المنتظر.

١٣. الجرجاني، علي بن محمد (دون تا). *معجم التعريفات*. تحقيق محمد صدِّيق المِنشاوي، القاهرة: دار الفضيلة.

١٤. جامل، فائزة عبدالزهرة (٢٠١١م). «النداءُ والاستفهامُ في ديوانِ ابن الفَارض دراسة في أسلوبه». *مجلة القادسية للعلوم الإنسانية*، المجلد ١٤، العدد ٤، صص١٧٣-١٨٧.

١٥. حسن، عباس (دون تا). النحو الوافي. ج ١، ط ٣، القاهرة: دار المعارف.

١٦. حسين، فلاح رسول (٢٠٠٩م). «أسلوب القسم في نهج البلاغة (عرض وإحصاء)». *مجلة جامعة أهل بيت*، العدد ٨، صص٢١٨-٢٣٩.

www.SID.ir

Archive of SID

١٧. الحمادي والآخرون (١٩٩٤م). *القواعد الأساسية في الصرف والنحو*. القاهرة: [دون نا].

١٨. حمدي أبوعلي، محمد بركات (١٩٩٢م). *البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل*. عمّان: دار البشير.

١٩. داسي، حسيبة (٢٠١٥م). *جمالية الأساليب الإنشائية في ديوان فجر النديل ناصر لوحيشي*. أطروحة الماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم اللغة العربية وآدابها.

٢٠. زارع، آفرين (١٣٩١ش). *ترجمه ديوان امام سجاد*. طهران: شركت بين الملل.

٢١. زروقي، عبدالقادر علي (٢٠١٦م). «جماليات التكرار وديناميّة المعنى في الخطاب الشعري نماذج من شعر محمد بلقاسم خمار». *مجلة الأثر*، الجزائر، العدد ٢٥، صص١٣٣-١٤٦.

٢٢. السبكي، بهاء الدين (٢٠٠٣م). *عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح*. تحقيق عبدالحميد هنداوي، ج ١، بيروت: المكتبة العصرية.

٢٣. السكاكي، سراج الدين (١٩٨٧م). *مفتاح العلوم*. ط ٢، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٤. السويطي، محمد حسين (٢٠١٢م). «الحوار الحضاري مع الآخر عند الإمام موسي الكاظم». *مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية*، السنة ٤، العدد ٩، صص٣٠٣-٣٣٤.

٢٥. صبيح خلف، عبد علي (٢٠١٢م). «النداء دراسة أسلوبية». *مجلة أبحاث ميسان*، العدد ١٧، صص٢٠٠-٢٣١.

٢٦. طاهري نيا، عليباقر؛ محمدزاده، جواد؛ أحمدي، إبراهيم (٢٠١٧م)، «قصيدة الكأس والهوم لأبي نواس (دراسة أسلوبية لغوية، دلالية، فكرية)» مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة ١٣، العدد ٣، ص ٣٧٩-٤٠٥.

٢٧. عبدالباقي محمد، أسماء (٢٠١٢م). «أسلوب النفي في بعض الأحاديث النبوية الشريفة صحيح مسلم إنموذجاً». *مجلة كلية الآداب*، العدد ١٠٢، صص١٨٨-٢١٢.

٢٨. عبدالزهرة الجنابي، سيروان (٢٠١٦م). «مبنى الصيغة ومعناها في النص القرآني صيغة (أفعل) أنموذجا». *مجلة مركز دراسات الكوفة*، العدد ٤٣، صص١١٣-١٤٢.

٢٩. الفاخوري، حنا (١٣٨٠ش). *تاريخ الأدب العربي*. ط ٢، طهران: انتشارات توس.

٣٠. فضل الله، محمد حسين (١٤٢١هـ). *الحوار في القرآن الكريم*. ط ٦، بيروت: دار الملاك.

٣١. قزويني، الخطيب (٢٠٠٩م). *التلخيص في علوم البلاغة*. ط ٢، بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٢. المبرد، أبوالعباس (١٩٩٤م). *المقتضب*. تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، ط ٣، القاهرة: إحياء التراث الإسلامي.

www.SID.ir

Archive of SID

٣٣. محمد هارون، عبدالسلام (٢٠٠١م). *الأساليب الإنشائية في النحو العربي*. ط ٢، القاهرة: مكتبة الخانجي.

٣٤. محمود ضمرة، معن (٢٠٠٥م). *الحوار في القرآن الكريم*. أطروحة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

٣٥. ملا إبراهيمي، عزت (١٤٣٧هـ). «الثّراء الفني لأسلوب الاستفهام في الشّعر الفلسطيني المقاوم (ديوان إبراهيم المقادمة أنموذجا)». *آفاق الحضارة الإسلامية*، السنة ١٩، العدد ١، صص١٢٣-١٤٥.

٣٦. منصوري، زينب (٢٠١١م). *ديوان أغاني أفريقيا لمحمد الفيتوري دراسة أسلوبية*. أطروحة الماجستير، جامعة حاج لخيضر، قسم اللغة العربية وآدابها.

٣٧. ناشد، علي كريم (٢٠١٥م). «الأفعال الناقصة في اللغتين العربية والإنجليزية: دراسة نحوية مقارنة». *مجلة واسط للعلوم الإنسانية*، العدد ٣٠، صص٣٨٩-٤٤٠.

٣٨. النحلاوي، عبدالرحمن (١٩٩٥م). أصول التربية الإسلامية وأساليبها. ط ٢، دمشق: دار الفكر.

www.SID.ir